عدد ٣ المجلد الاول

النفائس

مجموعة لطائف وفكاهات

تصدر مرة في الاسبوع

لمنشئها

خليل بيدس

الاحد في ٨ تشرين الثاني سنة ١٩٠٨

المقابلة

كان شاب يتناول طعام الظهر في احد مطاعم برلين وقد جلس الى مائدة منفردة واخذ يلتهم طعامه بسرعة مما دلَّ علَى شرود افكاره واستغراقهِ في تأملات شتى · ولما فرغ من الطعام دفع ما عليهِ وخرج فأبصر عربة فارغة استوقفها وقفز اليها وامر الحوذي ان يسير بهِ الى الساحة الكبرى في القسم الجنوبي من المدينة · ولما استوى في العربة اخرج من جيبهِ رقعة نشرها وقرأ ما يأتي (سألبي طلبك. وابادر لمشاهدتك نهار الاثنين من الاسبوع القادم الساعة الرابعة بعد الظهر في

الساحة المعينة كاتبته هيلدا) ثم طوى ارقعة المذكورة وامعن في الافكار والتصورات

*

لم يبق لهُ الا ربع ساعة حتى يصل الى الساحة وهناك يقابلها يقابل (هيلدا) التي قد مضى عليه الى ذلك الزمان ست سنوات دون ان يراها وهي التي احبها قبل ذلك العهد باربع سنوات ووقف عليها جميع عواطفه وامياله واحلها من قلبهِ في شغافه · مضت هذه المدة الطويلة وقد تغير كل شيء · اما هو فقد كان آنئذٍ في شرخ الشباب ومنتهى النضارة · غير ان الاقدار لم تخدمهُ والسعادة لم تمالئهُ · فانهُ كان محترفاً صناعة التصوير غير انهُ كان كغيره من الوف الالوف من اهل هذه الصناعة فلم يشتهر ولم يُكافأْ بشيء من المكاسب ليوسع بها نطاق عمله ويستطيع مسابقة النظراء والانداد · ومع هذا فقد ادمن العمل وكان يجد في كثرة الشغل عزاءً وسلواناً وآماله منوطة بالمستقبل · وكان قاطناً في القسم الجنوبي من المدينة في الطبقة الرابعة من بناءٍ كبير هناك يسكنهُ كثيرون من ارباب الصناعات · واما هيلدا فكانت ساكنة في الطبقة الثالثة من البناء المذكور · وهي ابنة نجار رقيق الحال وعمرها اذ ذاك ست عشرة سنة وقد زيَّنتها الطبيعة بابهى حلل الجمال وجعلت في عينيها نظرات هي السحر الحلال · فكان المصور يلتقي بها في اكثر الاحيان فيتطارحان اطراف الاحاديث ويقطعان

الاوقات بلا ضجر ولا سآمة · ومن ذلك الحين اخذت الالفة تصل اسبابها بينهما ثم تحوَّلت الى حب فغرام فهيام · بيد ان الدهر ابى الاَّ ان يفرّق بينهما فلبى كلٌّ منهما هذا القضاء المبرم وافترقا عن بعضهما بداعي الضرورة والاحتياج

وبعد بضع سنوات عاد المصوّر الى برلين وقد احرز بعض الشهرة والتفنن · وما القى عصاه في هذه المدينة حتى اخذ يبحث عن مالكة فوأاده ويستقصي اخبارها في جميع احياء المدينة فلم يجدها وقد وقع ذلك عليهِ وقوع الصاعقة · ولبث بعد ذلك مدة يتنسم اخبارها فلم يقف لها على اثر · فجزم بانها ماتت او هاجرت الى حيث لا يعلم · وبعد ردح من الزمن تعرَّف بفتاة اخرى · لا تقل حسناً وجمالاً عن هيلدا فتوادَدا ولم يلبثا ان اقترنا ببعضهما واخذا يقضيان الايام عَلَى اتم صفآء وهناء

غير ان المصوّر لم ينسَ هيلدا لان صورتها كانت لم تزل في ذهنهِ فكان اذا تذكرها يقضي الساعات الطوال مستغرقاً متاملاً · وبعض الاحيان كان يضيق به المكان فيخرج الى ظاهر المدينة ليتنفس الصعداء ويمعن في الخيال · وما زال كذلك حتى ضاقت الدنيا في وجهه ولم يعد يطيب لهُ مقام او يهنأ له عيش وهو يود من لباب قلبهِ ان يعرف ما صارت اليه هيلدا أهي ميتة ام في عالم الاحياء اما زوجته فكانت تلحظ فيهِ هذا القلق والارتباك فتحتار وترغب في

ان يطلعها على حقيقة حاله · فافضى اليها زوجها اخيراً بحبهِ السابق واعتذر اليها لانهُ لم يطلعها عَلَى سرّ قلبهِ حال تعرفه بها وسالها ان تعضده وتساعده لافراج هذه الكربة · فعذرتهُ زوجته بيد انها لم تتمالك نفسها عن البكاء · وكانت كلما راتهُ قلقاً تذرف الدموع السخينة فيزداد هو اضطراباً وحيرةً · واخيراً عزم عَلَى ان يرحل من برلين ويخلد الى السكينة والهدوء في احدى القرى المجاورة لعلهُ بذلك يسلو ما استحوذ عليهِ من الهموم والهواجس واخذ مذ ذاك يجهز نفسهُ للرحيل

واتفق في بعض الايام انهُ التقى باحد اصدقائه الذين عرفوا تاريخ حياته السابقة فاستوقفهُ هذا الصديق وانباه بان هيلدا قد عادت الى برلين وانها تزوَّجت · فانتفض المصوّر لدى سماعه ذلك كانهُ لم يكن يتوقع ان تتزوج هيلدا بل كان ينتظر بقاءها عزباء ··· ثم استنبأ عنوانها وكتب اليها يلتمس منها ان تاذن لهُ بمشاهدتها لانهُ عازم عَلَى مغادرة برلين وقد عرف انها تزوجت واعلمها ايضاً بزواجه وفي اليوم التالي وصلهُ منها جواب رسالته فبادر الى المحل المعين للاجتماع على ما مرَّ بك

✡

ولما وصل جاك — اسم المصوّر — الى الساحة راى هيلدا في انتظاره فوثب من العربة واقبل اليها وهو لا يصدق ان يراها · ثم دنا منها وقلبهُ يخفق واطرافه ترتجف وحياها

مصافحاً فردّت هي عليه التحية وصافحته بيد مرتجفة وقد علتها حمرة الخجل فاطرقت الى الارض . ثم سار الاثنان في الساحة صامتين هاجسين كأن الواحد منهما لا يعرف الآخر قط . واخيراً اخترقت هيلدا حجاب الصمت قائلة — اتذكر كيف كنت سابقاً تكره الزواج وتعده ضرباً من العذاب فكيف نسيت كل ذلك وتزوجت ؟

فقال لها جاك — قد جرى ما لم يكن في الحسبان . . والآن اين تريدين يا هيلدا ان نقضي بعض الوقت ؟ كنا قبلاً نحب الجلوس في حديقة المطعم عند اقصى الساحة فهل تودّين ان ننطلق اليها الآن ايضاً ؟

قالت — لا باس من ذلك فلنذهب الى هناك لنتذكر الاويقات التي قضيناها معاً في هذه الجهات

قال — نعم واني اتذكر يا هيلدا كل حديث كنا نتداوله ولاسيما ما كان عن الرياحين والورود . فحقاً ان تلك الايام كانت لنا ايام ربيع وورود بل هي ايام ربيع حياتنا وقد انقضى هذا الربيع واقبل الشتاء الدائم . شتاء الهموم الذي لا ينقضي

ثم نظر الاثنان الى بعضهما وتنهدا

وكانا قد وصلا الى حديقة المطعم المشار اليها فاتخذا لهما محلاً في اقصى الحديقة وطلبا زجاجة من شراب الشامبانيا ولما تناول كلّ منهما قدحاً قال جاك — اتذكرين يا هيلدا اول كاس شربناها من هذا الشراب

اني لم اشرب بعد ذلك كاساً بلذّتها

قالت — وانا كذلك · ثم شرب الاثنان نخب ذكرى ايامهما السالفة · نخب حداثتهما وقلبيهما

بعد هذا نظر جاك الى هيلدا بملء الشوق والهيام وقال — اني قد احببتك يا هيلدا بكل ما في جسدي من الحياة وما في حياتي من قوة الحب · وقد كان قلبي قبل ان عرفتك صحيفة بيضاء فانتِ اول من خط فيها آية الحب · وكاني بك الان وقد جئت لاول مرة الى هذا المكان وكان عمرك وقتئذٍ ستة عشر عاماً وانا كنت احسب نفسي رافائيل او ميخائيل انجلو او غيرهما من مشاهير المصورين · فكنتُ جالساً بازائك في هذا الفردوس البهيج سعيداً للغاية · واذكر كيف اني دنوت منك وهمست في اذنك (ما اجملكِ يا هيلدا)

ثم انقطع جاك عن الحديث ونظر الى هيلدا طويلاً وهي ايضاً نظرت اليه ولم تلبث ان جالت الدموع في ماقيها · فقام جاك ودنا منها وجلس الى جانبها واخذ يديها وضمها · فارادت هيلدا ان تمانعهُ فابى عليها ذلك وهو يقول — دعيني يا هيلدا اتذكر جلوسنا في هذه البقعة الجميلة قبل هذا العهد بعشر سنين وعلى الخصوص حينما كنا نجلس الى بعضنا وايدينا ببعضها فنقضي وقتاً طويلاً في المحادثة والمغازلة · آه ما احلى تلك الايام وما اهنأ هذه الذكرى

اما هيلدا فلم تجبهُ بكلمة بل ترقرق الدمع من عينيها وانَّت انيناً

محرقاً · فارتجف جاك وقال لها ـ ايسوءك هذا التذكار ايتها العزيزة؟

قالت ـ كلاَّ بل يحلو لي

قال ـ اما انا فعلى غاية الشكر لهذه النعمة التي ساقتني اليوم الى هنا ومتعتني بسعادة هذه الدقائق القليلة التي ذكرتنا بهناء ماضينا والتي لن انساها ما حييت · وهل تذكرين يا هيلدا لما كنا مرة في البرية ولم نشأ ان نسير في الطريق العمومية بل انتهجنا طريقاً غير مسلوكة وسرنا فيها ·· وهل تذكرين وقتئذٍ كيف اخذنا في الغناء المطرب وكيف بعد ذلك بلغنا احدى القرى فابتعنا حليباً وشراباً وواصلنا سيرنا الى الحرش · وهل تذكرين كيف تعانقنا هناك طويلاً ·· والخلاصة ان كل ما مضى من حياتنا قد تمثل الآن لي ولذَّني تذكاره ··· والآن ما لي اراكِ صامتة كئيبة ! تكلمي ايتها العزيزة

ولما لم تتكلم اخذ وردة من باقة امامها وضربها بها عَلى يدها قائلاً تكلمي

فاجابت ـ لا تفعل هكذا يا جاك · ثم تنهدت وقالت ـ لم اعد قادرة على البقاء فيلزمني الانصراف · وها اني اودّعك يا جاك وداعاً ابدياً · لقد احببنا بعضنا وعشنا لبعضنا ثم قضي علينا بالفراق والحرمان اما الآن فلنعش للذكرى فقط ولا تحسب الماضي الاَّ حلماً عبر

فقام جاك فطوَّقها بذراعيه وقبلها طويلاً وقال : ولتكن هذه القبلة التي افتتحنا بها محبتنا خاتمة لاجتماعنا وعزاءً دائماً لقلوبنا وذكراً

حلواً لنفوسنا وليس لاحد ان يحرمنا هذه الذكرى

ثم خرجا من الحديقة وافترقا فسار كل منهما في طريقه وهو يحسب الدنيا كلها سجناً مظلماً والحياة عذاباً واصباً . ولما ابتعد الحبيبان عن بعضهما ولم يعد الواحد يرى الآخر تنهد كلٌّ منهما تنهداً مؤثراً لانهُ عرف انهُ لن يلاقي بعد حبيبه وقد يموت الواحد دون ان يعلم به الآخر . بيد انهما كانا مجبورين . لان سعادة الحداثة ما زالت تربطهما وتعيد عليهما ذكرى الحب والولاء

☆

ولما عاد جاك الى منزله وجد امراته جالسة في مخدعها تطالع كتاباً امتدحهُ لها بالامس وقد وضعت بازائها رسم زوجها فكانت وهي تقرأ تختلس النظر الى الرسم . وكانت هذه المرأة اكثر جمالاً والطف قداً من هيلدا وحبها لزوجها بالغ حدَّ الافراط فلما رآها تنهد طويلاً وجلس بازائها وقص عليها جميع ما جرى لهُ مع هيلدا . ولم يكن حديثهُ لها اعترافاً لانه كان يعلم ان لا اثم عليه ولا حرج فيما فعلهُ . وكانت زوجته تسمع كلامه بتمام الاصغاء وبدون انفعال . ولما فرغ من حديثه قال لها الآن قد تمَّ . الآن لم اعد اطيق البقاء في برلين بل اريد مغادرتها . ثم عانقها وخرج . اما هي فلم تلبث بعد ذهابه ان طرحت الكتاب من يدها وجمدت في مكانها وطرفها شاخص وقلبها خافق وفكرها سابح في لجج العواطف والوجدانات النفسانية

كانت هذه المرأة اقوى من كل امرأة سواها · اقوى من كل حقيقة · ولكنها لم تعد تطيق ان ترى زوجها قلقاً محتاراً فعزمت على تسليته وخدمته فوق طاقتها

منثورات

المرأة

قال ويربارخ الشهير : ان آدم لم يُحرم الجنة الاَّ بظهور حوَّاء ولكنهُ بذلك صار انساناً

الغني البخيل والشاعر الفقير

سأَل احد مشاهير الاغنياء البخلاء شاعراً فقيراً ما بال اكثر الشعراء فقراء ؟ فاجابهُ الشاعر على الفور — لانهم يصرفون ما لا ينصرف (اشارة الى النحو) ولكن هل لك ان تفيدني لماذا انتم لا تفتقرون ؟ اجاب — لا · فقال الشاعر — لانكم لا تصرفون ما ينصرف (اشارة الى المال)

اظفار الانسان

تنمو اظفار الانسان وتتجدد كل اربعة اشهر ونصف · فمن ادرك

السبعين من عمره = رجلاً كان او امرأة = تجدّدت اظفاره ١٨٦ مرة . فلو ترك الانسان ظفر سبابتهِ مثلاً واعتنى بنموّهِ مدة ستين سنة لبلغ طوله مترين

الدفاع عن النفس

جآءَ رجل الى المحكمة متقلداً سيفه فسالهُ القاضي عن سبب ذلك فاجاب ـ لانك امرت في رقعة الطلب ان احضر للدفاع عن نفسي . وليس عندي من وسائل الدفاع افضل من هذا السيف

بصيرة العقل

قال ارسطاطاليس : علَى قدر بصيرة العقل يرى الانسان الاشياء فالسالم العقل يرى الاشياء علَى حقائقها والنفس اللئيمة ترى الاشياء بطبعها   وقال المتنبي

ومن يكُ ذا فمٍ مُرٍّ مريضٍ   يجدْ مُرًّا به الماءَ الزلالا

تفنن النساء

للجنس اللطيف في الذوق اللطيف عوائد ومستحدثات كثيرة يقدّرها كلٌ حسب ميله وهواه . من ذلك عادة جديدة استحدثتها حسان اميركاٍ وهي نقش صورة الحبيب علَى اجسامهن ولا يخفى ما في ذلك من التناهي في الرقة . اما اصل هذه العادة فهو ان احدى العقائل من فرط هيامها بزوجها رسمت صورتهعلى يدها فحذت كثيرات من ربّات الجمال حذوها . غير انهن كنَّ يبحثنَ عن طريقة لازالة هذه الرسوم عند

الحاجة ... ولكنهن لم يتوفقن بادىء بدء الى هذه الطريقة وسيدات العصر يحببن كما لا يخفى تنويع الاشياء والتنقل من حال الى حال .. واخيراً وجد احد المصورين طريقة لرسم الصور على الايدي بالفوتوغرافية فجاء هذا الاختراع ملائماً لاذواق سيدات اميركا . ولم يلبث ان شاع استعماله وصرت الان ترى على ايدي الجم الغفير من الاوانس والعقائل صور محبيهن وذويهن . وعما قليل ستصبح تلك الايدي الناعمة اللطيفة معرضاً للصور . وكل آتٍ قريب

خفقان القلب

للبهاء زهير

لا تنكروا خفقان قلـ　　بي والحبيب لديَّ حاضر
ما القلب الاَّ داره　　دقَّت له فيها البشائر

بين خادمة وسيدها

الخادمة — لم اعد اطيق الاقامة مع زوجتك فارجوك ان تقبل استعفائي 

السيد — اصبتِ ايتها الابنة فانتِ سعيدة لانك ستتخلصين من جورها وحبذا لو استطيع انا ايضاً تقديم استعفائي منها مثلكِ



شقاء الملوك

رواية اجتماعية عمرانية

المقدمة

هذه الرواية تتضمن من العبر والحكم تحت ثوب اللهو والفكاهة ما يجعلها من انفس الذخائر فانها تمثل باسلوب شائق حالة الملوك ونسبتهم الى الرعية وواجباتهم نحوها ونسبة الرعية اليهم وحقوقها عليهم وما يتصل بذلك من شؤون الملك واحوال رجال الدولة والبلاط وقوة الشعب بصور مختلفة تنطبق عَلَى الحقيقة يتخلل كل ذلك حوادث مشوّقة ومباحث فلسفية اجتماعية يستعذبها السمع و يتعشقها الطبع

أُلفتها ماري كورلي الكاتبة الانكليزية الشهيرة ونقلتها ز٠ جورافسكايا الى اللغة الروسية بعنوان (تحت نير السلطة) فلخصتها انا من الروسية باسم (شقاء الملوك) وتصرفت فيها بزيادة واسقاط وتغيير وابدال وتبويب وغير ذلك لتوافق ذوق القراء٠ فعسى ان يتلقاها ابناء العربية بما هي اهلٌ لهُ من الايثار والاقبال وعَلَى الله الاتكال

خليل بيدس

الفصل الاول

تأملات

لو تأمل الانسان في احوال هذا الكون العظيم ودقق في اسرار الطبيعة ومكنوناتها واجتهد ان يعرف ماهية وجوده وغاية حياته وسار في مناهج الحياة سيراً منطبقاً على نظام الطبيعة لعاش العيشة السعيدة المديدة . غير انهُ لجهله ولسوء حظه ابى الاَّ معاكسة السنن الطبيعية . فهو بمعارفه القليلة ولاسباب تافهة واهواء ذاتية ينظر الى الدين والاداب والاحكام والشرائع نظراً مخالفاً كل المخالفة للوضع الطبيعي . ولهذه الاسباب يُرى الانسان منذ اول حياتهِ الى اخرها مجهوداً باختراع الذرائع والوسائل لمكافحة الطبيعة واخضاعها او للتفوق عليها بسائر ضروب المكر والحيلة . ولكنهُ يموت اخيراً مغلوباً مقهوراً . وكل تلك الاحكام والشرائع والحضارة والعادات والحقوق التي سنها ورتبها تكون مهدَّدة في كل لحظة باشد الاخطار والدمار كقرية النمل التي اذ تكون بالامس عامرة باهلها تصبح مدوسة مدمرة . وهكذا الانسان فانهُ دائماً يشتغل ودائماً يخترع ولا يكاد يأخذ لنفسهِ راحةً بيدَ انَّ يد الطبيعة القادرة تلاشي من اعماله كل ما هو مخالف لاحكامها ونواميسها . لانها عاملة في الكون ثابتة لا تتغير بتغير الازمان

ولا تتبدّل بتبدّل الاعصار. ومثلنا في كل ذلك مثل اولاد مدرس
وقد جلسوا ليحلوا عقدة رياضية فعليهم ان يتوصلوا الى نتيجة معلو
ولكنهم يتلبكون وتلتبس عليهم المعدودات ووجوه العمل ف
يتأتى لهم ايجاد الجواب الحقيقي وفي اثناء ذلك تمحو يد المعلم ع
اللوح كل ما هو مكتوب عليه وترقم لهم من جديد الاعداد الرئيس
في المسألة ولا يزال هذا شأنهم حتى يفقهوا اخيراً العقدة المطلوبة و يتوف
الى حلها على الوجه الصوابي

كذلك ابناء هذا العالم . فسر عدم نجاحهم في مغالبة الطبي
منحصر فيهم فقط . لانهم في سعيهم الى المدنية والحضارة لا يتخذ
الخطط المجارية للطبيعة بل يتحذلقون ويختطون غيرها توصلاً
ادراك منافع أُخر ذاتية ومصالح مادية . وهم في كل ذلك علَى مذاه
متباينة واطوار متفاوتة

هذه التأملات وما يتشعب عنها من الاغراض والمسائل ك
ما تعرض لكثيرين من اصحاب العقول والمدارك فتحملهم علَى ق
الساعات والايام في التأمل والتفكر بحالة الانسان ونسبته الى هذا الك
العظيم وسرّ وجوده فيه الى غير ذلك من الاسرار الغامضة التي ح
دون توسمها بصائر الحكماء وضلت في تتبع آثارها روّاد البحث

*

في اليوم الاول من سياق هذه الرواية كان رجل تبدو عليه

العظمة وجلالة الشان جالساً على احدى شرفات قصر ملوكي فخيم يطلُّ عَلى البحر . وقد كانت تلك المسائل والتأملات خطرت في باله قبل ذلك الوفا من المرات . وهو في كل مرة يريد ان يستطلع سرَّ حياتهِ ونسبته الى المجتمع ويعرف غايةَ وجوده وحالتهُ وقيمة اعماله . ولما مضى عليه في هذا النهار ساعتان كاملتان وهو هائم في اودية الافكار والخواطر فطن لكلمات قالها احد اذكياء بطانة الملك لودوفيك السادس عشر وهي (ما الفائدة من التفكر ? ان ذلك يسيء ظنكم بغيركم وبنفسكم)

وقد راى الجالس في الشرفة ان هذه الكلمات تنطوي عَلى حكمة فائقة وعدل حقيقي . لان كثرة التفكر تملأُ القلب تعباً وتلبس الانسان ثوب الضنى والشيخوخة قبل اوانهِ وتكسو الجسم سقماً ونحولاً . فالتفكر اذاً عادةٌ مضرةٌ وهي كما يقولون لا تلائم اعاظم هذا العالم لان آفة الانسان ظنهُ . وقد علم هو ذلك منذ زمان فكان وهو في سن الحداثة يتجنب هذه العادة بكل قواه . غير انهُ مع الايام والاعوام صار يرى كانَّ حجاباً سُدل على سبيل حياته المملوء زهراً ووردا واخفاه عن بصره بينما كان حجاب آخر يرتفع رويداً رويداً كاشفاً لهُ آفاقاً جديدة غير مفرحة . وذلك لانه راى بعد ارتفاع هذا الحجاب او هذه الضبابة عن عينيه ان حياته الماضية قد انقضت بدون فائدة تُذكر او اثر يشكر

وكان البحر يتلالا منبسطاً امامه كانهُ بساط من اللازورد وقد انبثت فيه السفن والزوارق فحاكت الكواكب في القبة الزرقاء . غير انهُ لم

يحفل بهذا المنظر البهج بل ظل" غائصاً في تيار افكاره وقد بدت على محياه سمات الغم والقنوط ولسان حاله يقول (ليست السعادة في العظمة والسلطة ..)

وكان يحيط بالقصر حديقة غناء واسعة الارجاء ممتدة الاطراف قد كسيت ارضها بالنباتات والازهار وخيمت فوقها الاشجار. وكان البستاني في هذا الوقت يجول بين اغراس النرجس والياسمين فيقطف منها ما يراه صالحاً لتزيين مخادع القصر وهو لا يجسر ان يرفع نظره الى الشرفة تهيباً واجلالاً. واما الجالس في الشرفة فكان يتظاهر بانه غير عالم بوجود البستاني بالقرب منه. وعلى هذه الصورة كان هذان الرجلان المصنوعان من طينة واحدة واللذان سيتحولان بعد الموت الى رماد واحد يمثلان امام السماء وامام انفسهما دوراً مضحكاً. ذلك لان الشريعة والعادة وسائر دواعي الحضارة وحيل المدنية قد جعلت بينهما سداً كبيراً ناهية الادنى عن الكلام مع الاعلى من غير ان يؤمر بذلك منهُ وناهية الاعلى عن محادثة الادنى لئلا يشمخ وتكبر نفسهُ وهكذا فان هذين الرجلين اللذين لم يكونا من الطبيعة الا انسانين قد جعلهما الانسان نفسهُ مرائيين. فاحدهما كان بستانياً والآخر ملكاً. وهما والوف وملايين غيرهما من الخلق يعيشون في هذه الدنيا بتلك الوجوه المستعارة او وجوه المساخر التي لم تخترعها الا يد الانسان

الفصل الثاني

القصر

« هذا هو عملي ان اكون ملكاً » ـ هذه الكلمات قالها احد شهداء العظمة من ملوك الفرنساويين وقد كان يستحيل عليه ان يجد عملاً آخر يجعله اكثر سعادة وراحة لان السلطة الملوكية ليست مهنة يجوز ان يتركها صاحبها او يستبدلها بغيرها على هواه فهي تعب شاق ومضجر وقد خصص لها افراد معدودون تعينوا لها منذ الولادة فهم مضطرون ان يتهيأوا لها ويحيوا لها ويموتوا بها

قال احد ملوك الرومان وقد ضجر في احد الايام (ماذا ينبغي لي ان اعمل اليوم فقد سئمت ايضاً من قتل اعدائي) مسكين هذا الملك . فانهُ لم يقدر ان يرى عملاً يعود عليه وعلى رعيته بالخير والصلاح اكثر من التمثيل بالاعداء فكأنهُ انما وُجد للانتقام فقط

والاغرب انك ترى اشخاصاً يجودون بالنفس وكل نفيس ويأبون الحرية الشخصية وراحة الضمير لاجل ان يجلسوا بضعة اعوام او بضعة ايام عَلَى عرش السلطة لانهم يتوهمون ان الملوك هم اسعد البشر حالاً ..

*

وكان البستاني قد جمع ما اراد من الازهار واجتاز في الحديقة مختفياً عن الابصار

وبقي الملك وحده . وهي احدى المرات النادرة . لانهُ لم يكن

يجوز لهُ ان يبقى وحده لئلا تغتالهُ يدٌ غير منظورة · فكان عَلَى الدوام محاطاً ببعض رجال البلاط والحرّاس · غير انهُ بقي هذه المرة وحده بدون رقيب لانهُ اخبر كاتب سرّه انه مضطرٌّ ان يخلو بنفسهِ ليفتكر ببعض شؤون تتعلق بذاته فقط

اما القصر الذي كان فيهِ هذا الملك فهو من القصور الفخيمة الجامعة بين سائر اصناف الابهة والعظمة · وقد بناه ابوه الملك من الرخام الناصع وجعل فيه من الاعمدة الرائعة والزخارف البديعة بما عَلَى سقوفه وجدرانه من الالوان والرسوم ما يحير الالباب و ياخذ بالبصر · وهو يطلّ من جهات ثلاث عَلَى الاوقيانوس وقد حوى من الاثاث الفاخر والرياش الثمين ما يكل عنهُ الوصف · فمن ذلك مائدة كان يكتب عليها الملك بعض الاحيان رسائله واوراقه وهي لو بيعت لقاتت بثمنها مدينة كاملةً سنة كاملة · وهكذا قل عن غيرها من الاثاث والانية والعاديات والمفروشات والبدائع والتحف والجواهر وسائر انواع الترف والزينة مالو بيع وأُنفقت اثمانه في وجوه العمران والخير لاكسبت البلاد مجداً اثيلاً وعزاً جليلاً لكن الذنب هنا ليس عَلَى الملوك فقط بل اكثره عَلَى الرعايا الذين يريدون ان يكونوا تحت سلطة ملك · وما هو في الحقيقة الاَّ اسير المملكة وقد أُوثق بالعرش كما يوثق الاسير بجنازير الحديد غير ان الملك يتميز عن الاسير بحلته الفاخرة وتاجه المرصع بالجواهر واليواقيت والرعية تقدم له معاشاً كبيراً هو الضربة الكبرى

وهي لا تعلم ان هذا المتوّج والمرتدي تلك الحلل الثمينة والجالس عَلَى العرش انما هو انسان

الفصل الثالث

حداثة الملك

ان تدبير الممالك في هذه الايام قد اصبح شاقاً لان السلطة المطلقة الحقيقية قد زالت وليس لاحد ان يعيد عهدها ولو كان اشد جبابرة الارض . اما في الازمنة الغابرة فقد كانت السلطة العليا ذات معنى وفائدة . فلم يكن يتسلط عَلَى الامة الااقوى رجالها حنكة وتدبيراً واشدهم باساً و بسالة . وكان هذا المتسلط يقود جيوش بلاده بنفسه الى مواقع القتال جاعلاً نفسهُ مثالاً لهم في كل امر غير ان حضارة الانسان قد نسخت هذه العادة القديمة كما نسخت غيرها من العوائد الحسنة والمزايا الفريدة . وصار الملوك بفضل هذه الحضارة يتسنمون عرش السلطة بحق الولادة ليس الاَّ . بحيث لا يُنظر الى الملك اهو حكيم عاقل عارف بتدبير المملكة صحيح الجسم ام هو جاهل عاتٍ ظالم قليل الادراك عديم المعرفة عليل الجسم !!

غير ان الملك المذكور آنفاً كان خالياً من كل علة عقلية او

جندية . وقد كان لائقاً ان يُقام ملكاً حسب المبدأ القديم لانهُ كان شديد البأس قوي العضل طويل القامة جميل المنظر رائع العينين فضلاً عن اتصافه بحصافة العقل وثقوب الذهن واصالة الراي وغيرها من السجايا الفريدة ومحاسن الآداب التي ظهرت فيه وهو لم يزل ولياً للعهد . فقد كان وهو في سن الحداثة يدهش الكثيرين من رجال البلاط باسئلته ومباديه . وكان لهُ وقتئذٍ استاذ طاعن في السن ادرك الغاية القصوى من العلم والفلسفة . فكان وليّ العهد يحبهُ ويعتبره ويميل الى معاشرته ومسايرته وكان الشيخ يحب تلميذه حباً فائقاً ويتوسم فيه انهُ سيكون بعد وفاة ابيه ملكاً حقيقياً محباً لخير رعيته وبلاده . ومرةً بينا كان الاستاذ جالساً الى تلميذه يحادثهُ في شؤون مختلفة سألهُ التلميذ قائلاً : — ارجوك يا حضرة الاستاذ ان تفيدني ما هو الانسان ؟

فاجاب الاستاذ — الانسان هو كائن مزيَّن بالعقل والادراك والمواهب الطبيعية وقد وصل بكل ذلك الى ما نراه عليه اليوم من العظمة والسيادة

قال — وماذا تعني بالسيادة ؟

قال — اريد بذلك انه اصبح اعلى من باقي اصناف العالم الحيواني

قال — وهل هو بالحقيقة كما ذكرت ؟

(ستأتي البقية)